الموت
في التصور الوجودي والإسلامي وأثره في الأدب

بقلم : محمد رشدي عبيد
- العراق -

يعد الفكر الوجودي (الموت) مشكلة خانقة ، وتتحدد إشكاليته في تحليلاته ذلك أن الموت قضاء على كل فعل ، وقتل للحياة سواء انتهت إمكانات الفرد وبلغ قمة نضجه واكتماله واستنفد أغراضه ، أم لم تتحقق كل هذه الإمكانات ، حيث يخطف الموت أفراداً في ريعان الصبا ، أو عزّ الشباب وفورته وحيويته ، أو في خصب الكهولة واتساع آمالها وتعاظم آفاقها ... فليس الموت الفردي في كل الأحوال حالة نضج وامتلاء يعقبها انتهاء وقطف ، بل إنه قد يظهر «بوصفه الانقطاع العنيف للحياة ، أو على أنه توقف الحياة ، أو أنه قد يرجئ ظهوره إلى مابعد فترة طويلة من انهيار قوى الإنسان »(١) ... وهكذا تختلف حالة موت الإنسان عن حالة نضج الثمرة : « لأن الثمرة تمثل التمام ، بينما الموت تحطيم للحياة وقضاء عليها »(٢) في فترات شتى من نمو هذه الثمرة البشرية ، وقبل أن تبلغ أقصى مدى للنضج والعطاء ، وفي الوقت ذاته لا يؤمن الوجودي بالخلود ، ففيما عدا موقف (كيركجارد) الذي تصور الإنسان مركباً من الزماني والأزلي ، وشكوكيّة (أونامونو) حيث ينفي أن يعلم الفرد :« على وجه التعيين ماهو الحق في هذا الأمر ؟ » فإن « الموقف الأقرب إلى النموذج الوجودي هو ذلك الذي يرى في الموت حداً نهائياً »

ويعتبر الموت سر ملغز ملفوف بالغموض لا يعلم عنه الوجودي شيئاً وهو في حالة الحياة ، كل ما يشاهده هو موت الآخرين ، وحين يأتيه الموت ويحضره طيفه لا ينفعه علمه بها ، لكن الوجودي لا يشير إلى قضية النفع لأنه لا يؤمن بتحقق نفع أو ضَرَر بعد الموت ، فالموت عنده هو تناهي الوجود البشري ، بل إنه يركز على جانب الفهم : « لو أننا مررنا نحن أنفسنا بتجربة الموت فإننا في هذه الحالة لن نفهمه لسبب بسيط هو أننا سنكون في هذه الحالة أمواتاً ، ألا يكون من العبث إذن أن نتصور أن هناك من يستطيع أن يصل إلى فهم وجوديٍّ للموت ؟ » بلى!! (٣)

ومن ناحية أخرى لا أحد يحمل عبء الموت عن غيره حيث « يشعر من يموت أنه يموت وحده ، لا يشاركه في موته أحد ، ولا يستطيع أحد أن يحمل عنه عبء موته فيقوم بالموت بدلاً منه »(٤) . فمواجهة الفرد للمشكلة تكتسب طابع الوحدانية والاقتصار والسلبية.

وبرغم كل هذه الإشكالات فإن الفكر الوجودي يشدد على ضرورة تركيز رؤية الفرد للموت وتقويتها وتوسيعها ، لأن من كمال الشخصية وثرائها أن تكون شاعرة بقيمة وجودها ، حريصة على إدامته ، غيورة على استمراره ، ومن ثم شديدة الإحساس بفداحة الموت - الذي يهشم هذا الوجود

ويبعثره في نظرها - دائمة التحديق فيه ، بل وإنها تعتبر الموت « مركز التفكير الفلسفي ونقطة الإشعاع في النظرة إلى الوجود » (٥) ، وترى أن « جعل الموت مركز التفكير في الوجود يؤذن أيضاً بميلاد حضارة جديدة »(٦)

وهكذا يتأبد الصراع في الذات الوجودية بين الرؤية الدائمة الواضحة لمشكلة الموت ، وبين الرغبة الفطرية الأصيلة الملحة إلى الخلود ، وتكاد هذه الرغبة أن تشير إلى تحقق الخلود الفعلي ، حيث تتوق الذات إلى التحرر مما هو زائل ، وتشتاق إلى دوام اللحظات الثرية الممتلئة في الحياة ، وتجعل أحد فلاسفة الوجودية (أونامونو) يهتف « دعونا نستحق الخلود على الأقل » (٧)

ولماذا ؟ لأن هذا العالم زائل وغرّير ، ولا بد من شيء يملأ حياة الإنسان ، لا بد من عالم يُقهر فيه هذا المصير المؤلم ، لا بد أن تسود هذه الرغبة المشبوبة للقلب على كل ماعداها ... وهي نفس الحجة القرآنية التي تحاول إقناع المسلم بحقيقة اليوم الآخر وضرورته : **« إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار »(٨) ، « وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور »(٩)** .. لكن شوق (أونامونو) لايبلغه ضفاف اليقين ، فيعود إلى شكوكه ، ويكتفي بإدانة القدر الذي كتب العدم على الفرد - في ظنه -!! ومن جهة أخرى يجعل (ف.بانبرج) الوعي بالموت دليلاً على تصوّر شيء يجاوز هذا الحد قائلاً : « إن فينوصينولوجيا الأمل تشير إلى أن ماهية الوجود البشري الواعي أن يأمل في حياة بعد الموت »(١٠).

لكن هذه الأدلة القلبية والفطرية لم تقنع الوجودي بيقينية العالم الآخر ، فلم يعد بوسعه أن ينظر إلى الحياة نظرة متفائلة متوازنة وإيجابية ، فلقد تساءل رائد الوجودية الأول وزعيمها الروحي (كيركجارد) في كتابه « مذنب أو غير مذنب » !! عن معنى حياته بهذه الأسئلة الأليمة : « أين أنا ؟ ما معنى العالم ؟ومن الذي لعب عليّ فوضعني فيه وتركني ؟ من أنا وكيف دخلت هذا العالم ؟ ولماذا لم يستشيروني حين أدخلوني فيه ؟ » (١١)

وزعم سارتر أن « الإنسان حماسة لا فائدة فيها » (١٢) .. وأن الموت هو « العبث الأخير »(١٣)

وبدت الحياة لا معقولة في نظر كامي « كل مافي الوجود عبث » (١٤) فدعا إلى التمرد ليملأ شعوره بخواء الحياة ورهبة الموت « العصيان البشري هو احتجاج طويل ضد الموت »(١٥) و« أن يعيش الإنسان في قبضة الصراع وعذابه ، شرط ضروري لوجوده » (١٦) في رأي (أونامونو) ، وليست الفلسفة سوى

ينشيء الإسلام الصناعة الفكرية والعاطفية في ذات المسلم بتقديرية كل حركة وجودية وغائيتها

« علم بمأساة الحياة وتفكير في المعنى الإنساني للحياة » (١٧) في نظره ... وهو يدفع بطله إلى النضال ينسى الموت ، لكنه لا يرى « نتيجة لهذا غير هزيمة الإنسان » (١٨).

هذا هو الموت الذي يجفل منه الوجودي ويُرعب ، ويحكم تحت تأثير هذا الإجفال والرعب على كل شوق إلى الحياة ، وكل تعلق بها ، وكل جهد من أجل إنمائها ، بالتفاهة وعدم الجدوى ، إذ مادام الموت متربصاً بالحياة يغتالها كل لحظة ، فإن الحياة تبدو « تافهة وغير معقولة » (١٩) لأن « الأشياء كلها في نهاية المطاف متساوية ولا أهمية لها »(٢٠) ، والجهد البشري في مجال إثراء الحياة وإسعاد الإنسان فيها تافه ومحبط ويستحق الإعدام : « إذ تكون المعارضة الساخرة محض توكيد بأنك مهما فعلت فإنك في النهاية ستموت ، تنبري كرة المنضدة لتقديم حجج قوية متماسكة لمساندة تلك الفرضية ، وهي تظهر كم من الجهد البشري يغدو تافهاً ، ولماذا ؟ » (٢١).

وينعكس الشعور الكئيب بالموت الوشيك على صفحة الشعور الوجودي سواءً في القصة القصيرة أو الرواية أو المسرحية ، ففي القصص الوجودي : « لاتلبث أن تتبين أن الموقف الحرج يفضي إلى الانتحار أو إلى صورة من صور الموت في الحياة » (٢٢) ، فنماذج بيكت لا تعكس إلاّ العزلة والاغتراب ، ونموذج كافكا (راكب الجردل) ضحية بريئة لقوة باطشة مميتة ، وهو في حالة وفاة متجمدة ، والراوي عند سيزار بافيس في (المنتحرون) يعاني من ضرب من الموت في الحياة ، إنه كسالفيه يعاني « من نفس أسباب القيم التي تعذب روكنتين في قصة سارتر (السقام) ، يعاني من ذات الملل الذي يعتور راوية تولستوي قبل أن يصبح مجنوناً ، يعاني من ذات الكلال النفسي الذي أصاب سنسي عند بيراندللو أو (شادوفال) المسن عند هيبر » (٢٣).

وحين يشعر بطل الأدب الروائي الوجودي بقرب أجله فإن شعوره الحزين يلوّن حياته كلها بلونه الكئيب الأصفر ، كما توضح ذلك قصة تولستوي الشهيرة (موت إيفان إيليتش): « فالموت بالنسبة

لكل إنسان فيما عدا إيفان -بل بالنسبة له حتى اللحظة التي يعرف فيها أنه مريض بمرض قاتل- موضوع كريه مزعج ، لا يصلح للتفكير أو الحديث ، ثم يصبح بالنسبة لإيفان ذا أهمية فائقة ،ويلون كل شيء آخر » (٢٤) وفي مسرحية (قطة على سطح صفيح ساخن) نلقى الأب الذي علم بإصابته بالسرطان هالكاً من شدة الوجل ، وبكلمات تقطر أسىً ، وتتقطع ألماً نسمعه يصرخ : « إن الجهل بالموت والفناء راحة...وهي راحة لا يتمتع بها الرجل ، فالرجل هو الكائن الوحيد الذي يتصور الموت ، ويعرف ماهو ، أما الكائنات الأخرى فتسير في الحياة دون أن تعرف ماهو السبيل الذي ينبغي أن يسلكه أي كائن حي....ومع هذا فالخنزير يصرخ!! »(٢٥) ، ولكن هذا الأب البالغ من الكبر عتياً ما إن يخدعه أولاده ، ويوهموه بأن مرضه ليس سوى التهاب في القولون ، حتى يقبل على الحياة بنهم يتجاوز كل الأطر الأخلاقية والدينية ، مسوغاً لنفسه ذلك الإسراف بمثل هذه الكلمات الطافحة بالرغبة : « إنني لم أمنح نفسي الكفاية ، لقد تركت الفرص تمضي بسبب ماكان يساورني من وساوس ، وساوس ، تقاليد ، كلام فارغ ، !! .... سأطلق لنفسي سراحها» (٢٦) « إن الحيوان البشري وحش يفنى ويموت » (٢٧)

وإذا ما راود البطل شعور بضرورة خلود الروح ، وإمكانية وجود عالم آخر يكمّل فيه الإنسان وجوده ، أو تقيّم فيه أعماله ، فإن الكاتب الوجودي يقتل هذا الشعور ، وينفيه بشتى الوسائل المتعسفة المفتقرة إلى الإقناع ، كأن يلجأ إلى الحكم على المستقبل بوقائع الحاضر : « وماتوا ، ولم يكن فردوس ، ولا قيامة من الموت » (٢٨) أو ينكر الخلود ويزعم لبطله طهراً وعصمة كاذبة : « رعب الموت رعب حيواني يجب التخلص منه ، ليس يشعر بالرعب من الموت عن وعي إلا الذين يؤمنون بأبدية الحياة ، والذين ترعبهم ذنوبهم. أما أنت فلست تؤمن بأبدية الحياة!. ، ولست أظن لك من الذنوب مايبث الرعب في قلبك » (٢٩).

الموت في التصور الإسلامي :

الموت في التصور الإسلامي ليس مشكلة ، أي أنه لا يتصف بصفة الإشكال والتناقض والتقابل الحادّ والتعارض المشاقة ، وهذا لا يعني طبعاً أن المسلم لا يعاني من أي شكل من أشكال القلق على إمكاناته التي لم تتحقق ، والخوف على مصيره الذي لم يتبين ، والحزن على فراق من يحب وما يحب ، لكن تدخل المنهج الإسلامي في صياغة روحه وهندسة مشاعره وبرمجة عواطفه ، يسكن بعض قلقه ، ويهدئ من شدة توتره ، ويخفف سطوة حزنه ، ويعالج خوفه ...

فبالنسبة للإشكال الأول الذي يعتمل في داخل الذات الوجودية ممثلاً في القلق العارم على الإمكانات المذخورة التي لم تتحقق ، والتوتر المشدد بين الرغبة المشبوبة في الاكتمال والخلود ، وبين رؤية حدّ الموت الصامد الذي يهدد هذه الرغبة بعدم التحقق والإحباط ... فإن الإسلام يحلّه بما يلي :

أ) أنه ينشئ الصّناعة الفكرية والعاطفية في ذات المسلم بتقديرية كل حركة وجودية وغائيتها ، فالموت الذي يهجم في لحظة زمانية معينة ، على فرد معين ، وفي سن مترعة بالعطاء ، ممتلئة برصيد ضخم من الإمكانات المعبأة ، إنما هو موقوت حسب نظرة كونية شاملة ، مخططة عقلانية موجهة ، وتدبير إلهي عادل ورحيم مسبق ، وليس دفعاً من مصادفة عمياء قاسية القلب ، عديمة الشفقة ، ...**«وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً»** (٣٠) ، **« الله يتوفى الأنفس حين موتها »**(٣١) .

ولا داعي لذكر المردودات الإيجابية ، الطبيعية والاجتماعية والأخلاقية لمصيبة الموت فلهذا المقال مقام آخر.

ب) أنه يشبع غريزة الخلود في الذات المسلمة ، إذ يعد بحياة أخروية يكمل الإنسان فيها وجوده ، ويتحقق فيها للمسلم كل ما كان يطمح إليه من أمان وأشواق ، في الحرية الأبدية والخلود ، وحيازة أرقى وأكمل الخيرات المادية والروحية والبالغة حداً في النوع والكمّ يعجز الخيال عن تصوره ، فما لم يتحقق للإنسان هنا من مطامح وآمال يجدها هناك في أفضل تمثيل وأعظم تجسيد.

وهكذا فإن المسلم لايشعر بذلك الإشكال المتأزم في الذات الوجودية بين حب الحياة وتهديد الموت بإفنائها ، لأنه يتيقن بأن حياته لا تفنى بالموت ، بل إنها ستمتد بلا حدود في قلب المستقبل ، وليس الموت إلاّ مجرد فصل في كتاب الوجود ، أو فاصل بين نوعين من الحياة ، حياة ابتلائية عابرة ومصغّرة ، وأخرى حرة دائمة وحقيقية ، بينما لا يرى الوجودي بعد هذه الحياة إلاّ العدم وأبدية الرقاد تحت أطباق الثرى ، وعبثاً يحاول أقطاب الفكر الوجودي إقناع الفرد بالالتهاء عن مصيره المفجع بكل الوسائل الجادة والهاربة ، بل تحريضه وحثه على معانقة مصيره اختيارياً أو إجبارياً ، بدعوى أن

العدم هو عنصر جوهري في تركيب العالم ولابد من تقبّله، وأن «العدمية تمثل الغاية (المنطقية النهائية) للقيم والمثل العليا (٣٢)، كما زعم نيتشه، مع أن أشد ما يقلق عليه الوجودي هو عدم تحقق إمكاناته بشكل كلي، وأفظع ما يقلق منه هو جهامة هذا المصير الأسيان الذي يدعونه إلى الارتماء فيه، بالموت في الحياة، أو مبادرة النفس بالإزهاق!!.

أما الإشكال الثاني المتعقّد في كيان الوجودي المتقّد في روحه، والمتأتي من التناقض والمضادة بين شوقه إلى معرفة كنه الموت، وبين صمت الموت وبروده وامتناعه عن الإدلاء بأية تصريحات عن ماهيّته وأسراره، فإن وحي الله متمثلاً في القرآن والسنة يسلّط كثيراً من الأضواء على الموت، وسكراته، وحالة المؤمن وغيره أثناء مواجهته، والقوى الخفية الغيبية التي تسهم في تشكيل هذه المصيبة الحاسمة، ولا يبقى نهباً للظنون والهواجس ومسرحاً للصراع بين النقائض، إنه لايقول كما قال باسكال: «أجهل كل الجهل هذا الموت الذي لا أستطيع تجنبه!»(٣٣)بل يقول: «أعلم كثيراً عن هذا الموت الذي لا أستطيع تجنبه، وأوطن نفسي على لقائه!»

ويفك الإسلام عقدة الإشكال الثالث الذي يلف بخيوطه المتداخلة على وعي الفرد الوجودي، فلا يكاد يرى أحداً ينقذه من مصيره، ويحمل عنه عبء الموت، بأن يقوي من إرادة المسلم وعزمه على تحمل هذه المصيبة بالأذكار والأدعية التي تجعله مستأنساً بموت يقرّبه إلى التحقق الكامل والسعادة النقية والحريّة الأبدية، أو على الأقل، محاوراً له مستعداً للقياه، لا يكاد يشعر بمفارقة حين يكون: «متلهفاً للحياة ومستعداً للموت في آن واحد»(٣٤).

إذا نام وتذكر الموت دعا ربّه مستغفراً: «**إن أمسكت نفسي فاغفر لها**» (٣٥). فينجو من الشعور بالذنب الذي يكدّر هذا التذكر، وإذا صحا حمد الله على الحياة المتجددة والبعث المتكرر، واستذكر النشور الذي يحتّم عليه أن يحفزذاته للقيا مشهده فلا يغتر بمتاع الغرور، ويشتد تعلقه به وكراهيته بزواله «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**» (٣٦). لايسقط من حسابه يوم الدين، ولا يملّ من التوجه إلى مالكه في صلاته فلا يقيم بحيرته، ولا يرتهن إلى الدنيا ونفسيتها القلقة ووجودها الفاني. وإذا ماصدم سمعه موت قريب أو بعيد لم يقل مات فلان، كشأن الوجودي الذي لا يرى إلا موت الآخر ولا يعرف شيئاً منه إلاّ نبأه بل يقول «**إنا لله وإنا إليه راجعون**» (٣٧). فيتهيأ لساعة ذلك

يشبع الإسلام غريزة الخلود في الذات المسلمة، إذ يعد بحياة ما بعد الموت يكمل الإنسان فيها وجوده، ويحقق فيها المسلم ماكان يطمح إليه من أمان وأشواق

الرجوع كي لا يباغته المصير!.

إنه يعتبر بما يقدمه القرآن من خبرة روحية وأخلاقية عن موت الآخرين من الأبرار أو الطاغين، كما يلتفت بتركيز بالغ إلى كل حادثة موت، وينظم وعيه لتحمل هذا المصير بالاندماج في صلاة الجنازة على الميت المسلم. هذه الحيثيّات كلها تعين المسلم على تحمّل الموت، وتسكب على روحه برداً وسلاماً. ولاشك أن المسلم ليس غرّاً بقوانين الوجود أو متهرباً من ملاقاة المصير، لكي يطمع ساذجاً في أن يتقدم أحد ليحمل عنه عبء الموت، ويدفع تكاليفه على حسابه!.

وإذا كان المذهب الوجودي يرهف ويثري شعور الفرد بشخصانيته، ويجعل من مقتضيات هذا الثراء: التأمل الدائم في الموت الذي ينسف هذه الشخصانية، وهي في أشد حالاتها غنىً وخصوبة!!، فإنه لايسمح لهذا الفرد أن يوجه هذا التأمل، أو يلطفه، أو يكيّفه، بالاتصال مع الله- سبحانه وتعالى- لتسكين ما ينشئه من قلق وهم، أو التواجد مع الآخر والتواصل معه والاندماج في وجوده لنفس الغرض، فأما الله سبحانه فليس له حتى في تصوّر الوجودية التي تزعم الإيمان ذلك الحضور والهيمنة والفاعلية «فالوجودية تعيش نتيجة لنفس طريقة معالجتها للمشكلة في توتر بين الإيمان والشك، فإيمان (كيركجارد) هش ينطوي على مخاطرة، .. والتفرقة بين الوجوديين المتدينين وغير المتدينين ينبغي ألا ينظر إليها من حيث إيمانهم أو عدم إيمانهم بوجود كائن متعال يجاور العالم الحسي)(٣٨)

أما الآخر فلا يتواصل معه الوجودي السارتري لأن «الجحيم هوالغير» (٣٩)في نظره، أما الوجودية التي تزعم التدين فإنها قد لا ترى في الغير مصدر عذاب الذات، وتذهب إلى وجوب المشاركة والمحبة للانتصار على الموت، فقد دعا نيقولاي برد يائيف إلى «الاتصال الروحي في مجالات الحياة الاجتماعية والكونية معاً»(٤٠).

التأمل الوجودي الدائم في الموت ينسف شعور الفرد بشخصانيته وهي في أشد حالاتها غنى وخصوبة

لمساعدة الفرد على : « تجاوز حالة العزلة المشابهة للموت » (٤١) وتحقيق الفرد لهذا الاتصال الروحي مع الآخر ، ومع الطبيعة ، يعني عنده انتفاء كل خوف من الموت ، لأن قوة الحب في شعوره أقوى من سلطة الموت ورهبته ، لكنه لم يقدم أية مسوغات لأن يحتمل هذا الفرد ضريبة الحب والتجاوب والعطاء للآخرين الذين قد لا يأبهون بمعطياته ، ولا يجزونه على حسناته ، فضلاً عن أن يستنقذوه من الموت الفاجع الذي يترصده ، محسناً كان أم مسيئاً ، في حالة حبٍّ لا محدودة أم في حالة كراهية خانقة ! ثم إن دعاة التواصل مع الآخر في المذهب الوجودي تصدمهم عقبتان في هذا الطريق أولاهما : تقدير الوجودي لحرية الآخر وعدم إيمانه بتغييره وفقاً لفكرة غير فكرته : « علينا أن نحترم الآخر ولا نحاول تغييره وفقا لفكرتنا عمّا ينبغي أن يكون عليه » (٤٢) كما رأى بوبر، فيضعف الاتصال وتتلاشى دواعيه مادام عالم كل فرد حرماً آمناً وحمىً فريداً لا ينبغي أن تدخل عليه عناصر أجنبية عنه ، وثانيهما : رغبة الآخر ذاته بالانغلاق وعدم تقبل الاتصال الإيجابي مع غيره ، وهذا مالا حظه (جبريل مارسل) حين قررّ يائساً حتمية التوتر بين التطوع للتواصل ، وبين الرفض من الطرف المتواصل معه : « لا بد أن يكون لدي الاستعداد والرغبة لأن أضع نفسي تحت تصرفّ الآخر ، لكن الحقيقة المحزنة أن الناس إلى حد بعيد غير طيّعين بعضهم لبعض ، والشخص غير الطيّع هو شخص منشغل بنفسه ،وهو لذلك منغلق بالنسبة للآخر » (٤٣)

ثم إن هذا الآخر يشكل في نظر الوجودي المدعي للتدين عائقا أمام توجهه : إلى الله اذ يقول(كير كجارد)« ينبغي على كل فرد أن يكون ضنيناً في تعامله وعلاقته بالآخرين ، وينبغي عليه أساساً أن لا يجري حديثاً إلا بينه وبين الله » (٤٤) فكيف سيعالج الوجودي شعوره المتورم المتضخم بالموت والفناء المحض ؟

إنه إما أن يوغل في الخطيئة ليثبت تحرره من الشعور بالخسارة الفادحة التي يجلبها له الموت « فحيث لا توجد الخطيئة لا توجد الحريّة ، وحيث توجد الحرية توجد الخطيئة بالضرورة » (٤٥) ، أو يرتمي مبكراً في أحضان الموت واللجوء إلى الانتحار « أنا أقول إن الموت أحسن شيء من بين جميع الأشياء لأنه وحده الذي يجعلني حراً »(٤٦) ، أو يختار التمرد والتجديف ، أو يشغل وعيه باللهو واللعب والجِّد والهزل ، ثم لا يجد أمامه إلا شبح الموت يلاحقه هنا وهناك فلا يملك له دفعاً ولا يرجو له انفكاكاً !

أما المؤمن فإنه يفر من الموت إلى ربه ، ويلوذ بحصنه ، ويلجأ إلى حماه ، فينثُ عليه من نفحاته ، ويشرح له صدره ، وييسر أمره ، ويخفف من خوفه وحزنه وقلقه ،ويتوجه بآماله إلى دار الخلدالأبدية ، فيهون عليه فراق متعة الحياة الدنيا ، كما أنه يتواصل مع الآخرين ، فيقدم لهم نصحه وخبرته وتجربته ، بالحكمة والموعظة الحسنة والأسلوب اللطيف الذي لا يشعر فيه الآخر باستلاب حريته أو مصادرتها من قبل ، كما أن مايوصلّه إلى الآخر ليس رأياً فردياً اجتهادياً فيأنف من تقبله وتمثله ، إنما هو منهج الله الذي تجرد من أهواء البشر وظنونهم ،... وأخيراً فإنه لا يريد من أحدٍ جزاءً ولا شكوراً فتثقل موعظته على المقابل لتلبسها بتكاليف مادية أومعنوية . وانطلاقاً من هذه المحفزات يزداد شوق المؤمن إلى الاتصال مع الله ، والتواصل مع الآخر ، فينجلي عنه جانب كبيرمن ظلام الموت ، وبدلاً من السقوط في الخطيئة والمتع الحسية التي تورث السأم والسقم ، ولا تنجي من غارة العدم كشأن الوجودي في سعيه وظنه ، يزداد اندفاع المؤمن إلى العمل الصالح الإيجابي الأخلاقي الذي يشغله عن الارتهان إلى التأمل غير المجدي في الموت ، ويثري وجوده ووجود الآخرين ، وإذا ما اختاره الله شهيداً فلا بأس عليه لأنه إنما يستبدل الذي هو خير بالذي هو أدنى .

أما أن يزهق هو روحه فيجني على حياته الدنيوية والأخروية فلا ! ، لأنه أعقل وأحزم من أن يقارف هذه الخطيئة ،وذلك ما يشهد به الواقع الإحصائي إذ إن نسبة الانتحار تبدو ضئيلة جداً في العالم الإسلامي بالقياس إلى المجتمعات الأخرى .

وهكذا نجد أن قلق الموت عند المؤمن لا يأخذ ذلك الحجم المريب الذي يحتله في وعي الوجودي أو من سواه من الذين لا يؤمنون . وقدأثبتت الدراسات والبحوث أن « الاتجاهات الدينية تمد الشخص بحصن ضد الخوف من الموت » (٤٧)

وقدتوصل د. أحمد محمدعبد الخالق من دراسته

لعينات مصرية مسلمة حول درجة قلقها من الموت « إلا أن قلق الموت يزداد لدى انخفاض قوة الاعتقاد الديني لدى الفرد » (٤٨) وبذلك التقرير يتسق استنتاجنا الفكري مع الاستنتاجات الإحصائية والعملية .

ولقد مثل الرسول صلى الله عليه وسلم الموقف القرآني من الحياة والموت : جسده في سيرته وسنته ، فلم تثنه رؤية الموت وتيقنه عن الجهاد والإنجاز المبدع ، مع أنه كان يقرأقوله تعالى في حقه **« إنك ميت وإنهم ميتون »** (٤٩) ولم يحرفه حب الحياة عن مساره النبوي المليء بالمخاطرة ، الطافح بالألم النبيل ، المرسوم على خط الكفاية في المعاش ، دون ترف أو سرف أو خيلاء .. لم يضق ذرعاً بالحياة حتى في أشد حالاتها قسوة ، ولم ينس الله سبحانه في أعلى مواقف الانتصار والعز والفتح المبين .. ومع اشتداد كرب الموت عليه وتضاعف سكرته في حقه ، لم يبدر منه استياء ولا شكوى ، واختار الرفيق الأعلى ، باختياره الحر ، ذلك أنه لم يكن حريصاً على دنيانا هذه . فوطنه هناك في الملأ الأعلى .. وسار في مساره الكريم كل خليفة راشد ، وشهيد كريم ، وصالح ناسك .

١- جون ماكوري : الوجودية ص٢٨٣ .
٢- عبد الرحمن بدوي : دراسات في الفلسفة الوجودية ص٥٩ .
٣-جون ماكوري : الوجودية ص ٢٨٢ .
٤- عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية ص٥٩ .
٥- عبد الرحمن بدوي: الموت والعبقرية ص٣٠ .
٦- نفسه ، ص٣١ .
٧- جون ماكوري ، الوجودية ص٣٦٤ .
٨- غافر ، ٣٩ .
٩- آل عمران ، ١٨٥ .
١٠-جون ماكوري : الوجودية ص٢٦٣ .
١١- عبد الرحمن بدوي ، دراسات في الفلسفة ، ص٥٣ .
١٢- نفسه ، ص١٧٩ .
١٣- جون ماكوري: الوجودية ص٢٨٧ .
١٤- عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة ص ١٢٨ .
١٥- جون ماكوري ، الوجودية ص٢٨٧ .
١٦- أحمد عصام الدين ، من حديث الأدب الوجودي ص٦٠ .
١٧و١٨- أحمد عصام الدين: من حديث الأدب الوجودي ص ١١٧ .
١٩- آرنولد ب. هنجلف : موسوعة المصطلح النقدي اللامعقول ص٦٢١ .
٢٠- أحمد عصام الدين : من حديث الأدب الوجودي ، ص٢٨٧ .
٢١- آرنولد ب. هنجلف : موسوعة المصطلح النقدي اللامعقول ،ص٦٥٢ .
٢٢- أحمد عصام الدين : من حديث الأدب الوجودي ص٣٠ .
٢٣- أحمد عصام الدين من حديث الأدب الوجودي ص٦٠
٢٤- جون ماكوري :الوجودية ، ص٢٨٥ .
٢٥- تنسي وليامز : مسرحية قطة على سطح صفيح ساخن ، ص٩٠ .
٢٦-نفسه ، ص٩١ .
٢٧- نفسه ، ص٨٨ .
٢٨- كامو: مسرحية المجانين ، ص٣٢١ .
٢٩- تشيخوف: مسرحية طائر البحر ص٢١١ .
٣٠-آل عمران ١٤٥
٣١- الزمر ٤٢ .
٣٢- عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية ص٩ .
٣٣- عبد الرحمن بدوي: الموت والعبقرية ص٦ .
٣٤-رالف بارتون بري : إنسانية الإنسان ص٢٢٨ .
٣٥- دعاء مأثور .
٣٦- دعاء مأثور .
٣٧- البقرة ١٥٦ .
٣٨- جون ماكوري ، الوجودية ص٣٦١ .
٣٩- عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية ص١٨٠ .
٤٠- نيقولاي برديائيف ، العزلة والمجتمع ص١٧٩ .
٤١- نفسه ونفس الصفحة .
٤٢- جون ماكوري ، الوجودية ص١١٠ .
٤٣- نفسه ص١٦١-١٦٢ .
٤٤- جون ماكوري الوجودية ص١٦٣ .
٤٥- عبد الرحمن بدوي ، الموت والعبقرية ص١٣ .
٤٦- نفسه ص١٢ .
٤٧- د. أحمد محمد عبد الخالق : قلق الموت ص٩٨ .
٤٨- المرجع نفسه .
٤٩- الزمر ٣٠ .